ان هذه الرسالة التي وجهها نقفور الى هارون جرى اعتبارها اعلاناً للحرب ويتضح ذلك اكثر من الرد الذي بعث به الخليفة هارون، الذي اعقب بارسال قوات كبيرة عام ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م لانزال العقاب بالامبراطور البيزنطي. تقدمت القوات العربية التي كان قد بعث بها الرشيد في اراضي آسيا الصغرى حتى وصلت الى هرقلة وغنم العرب غنائم كبيرة. وعندما شعر نقفور بعجزه عن صد الجيوش العربية، طلب الهدنة ودفع الجزية، وتمت الموافقه على ذلك، ولكن نقفور مالبث ان نقض الهدنة بمجرد عودة الجيش العربي. عندها اضطر الرشيد عام ١٩١ هـ / ٨٠٦ م الى الاغارة من جديد على الاراضي البيزنطينية وبقوات كبيرة، فاستولى على حصون منيعة في آسيا الصغرى، واحتل هرقلة ثم طوانه، واتخذ منها قاعدة يرسل منها السرايا والجند الى سائر الجهات. فارسل قوة الى اقليم انقرة، ولما تبين الامبراطور انه لم يستطع المقاومة، عرض ان يدفع جزية قدرها خمسون الف دينار مقابل انسحاب القوات العربية، فتقررت الهدنة بين الطرفين (٣٤).

ولما مات الرشيد عام ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م ونشبت الحرب بين ولديه الامين والمأمون على الحكم حاول البيزنطينيون استغلال ذلك لصالحهم، الا ان الظروف التي كانت تمر بها الامبراطورية حينذاك جعلها تحول اتجاه سياستها الخارجية نحو البلقان لدرء خطر البلغار هناك.

٢ــ فتح العرب لجزيرة كريت (٣٥).

يرجع امر فتح جزيرة كريت الى احداث ثورة قامت في مدينة قرطبة بالاندلس عام ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م تعرف بثورة الربظيين (٣٦)، ولما فشلت هذه الثوره غادر فريق من الربظيين بلادهم ووصلوا الى شواطيء الاسكندرية ونزلوا في ضواحيها. ولما نشب الصراع بين الامين والمأمون، استغل هؤلاء المهاجرون الفرصة واستولوا على مدينة الاسكندرية واقاموا بها امارة اندلسية مستقلة عن الخلافة العباسية. وعندما استقرت الخلافة للمأمون ارسل اليهم قائده عبدالله بن طاهر ، الذي

---

(٣٤) الطبري ــ ج ٣ ــ ص ٧٠٩ حوادث عام ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م Cibbon, Op. Cit, Vol, 2, P. 818,819

(٣٥) وتسمى في المصادر العربية باسم اقريطش

(٣٦) الربض كلمة عامة تعني الضاحية او الحي والجمع أرباض

خيرهم بين الطاعة للخلافة العباسية وبين الخروج من الاسكندرية. فاستقر رأيهم على الخروج والنزول في ارض غير تابعة للخلافة واختاروا جزيرة كريت التي سبق للعرب المسلمين الاغارة عليها عدة مرات (٣٧).

انتقل العرب الاندلسيون عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م في اربعين سفينة فنزلوا ارض الجزيرة دون مقاومة من اهلها ولعل ذلك راجع الى كون هؤلاء السكان يكنون الكراهية للبيزنطينين بسبب سوء معاملتهم. وفي الجزيرة شيد العرب حصنا واحاطوه بخندق وجعلوه عاصمة لهم عرف باسم كانديا Candia (٣٨). ثم نصبوا عليهم ابي حفص عمر بن شعيب البلوطي. وحاول الامبراطور ميخائيل العمورى استعادة الجزيرة من يد العرب. فأرسل حملة عام ٨٢٨ م وحملة اخرى في العام التالي مكونة من سبعين سفينه بقيادة كراتيروس Krateros استطاع بعد قتال عنيف ان ينزل عساكره الى البر، غير ان العرب لم يلبثوا ان اجلوهم عن الجزيرة وقتلوا منهم عدداً كبيراً، ولم يسلم قائدهم من القتل. ولم تجد نفعاً كل محاولات ميخائيل العمورى وخلفائه لاستعادة جزيرة كريت التي ظل يحكمها ابو حفص وسلالته من بعده ما يقارب القرن والنصف قرن (٣٩).

٣ــ فتح العرب لجزيرة صقلية:

بينما كان الامبراطور ميخائيل العمورى يحاول يائساً استخلاص جزيرة كريت من يد العرب، اذ جاءه من الانباء ماجعله يوجه اهتمامه الى جزيرة صقلية التي اخذ العرب يستعدون لفتحها والسيطرة عليها من اجل فرض سيطرتهم على البحر الابيض المتوسط، ولحماية شواطئهم على سواحل افريقيه الشمالية.

---

(٣٧) راجع ابن الخطيب، اعمال الاعلام ــ (الرباط ــ ١٩٣٤ م)، ص ١٥، مؤلف مجهول ــ اخبار مجموعة ــ (مدريد ١٨٦٧ م) ص ١٣١، ابن عذارى ــ البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ــ (بيروت ١٩٥٠ م) ــ ج ٢ ــ ص ١١٤، ابراهيم احمد العدوى ــ الدولة الاسلا وامبراطورية الروم ــ (القاهرة ــ ١٩٥٨) ص ١٠٧ ــ ص ١١٠،

ibbon, Op. Cit, Vol. 2 , 820

n, OP. Cit, p. 208,

ابن الاثير الكامل في التاريخ ــ (القاهره ــ مطبعة الاستقامة) ــ ج ٧ ــ ص ٥

والحقيقة انه جرت محاولات عديدة من قبل العرب المسلمين والنزول على ارض الجزيرة مرات عديدة الا انهم لم يستقروا بها (٤٠). بل اكتفوا بما قد حصلوا عليه في اثبات قدراتهم على الوصول الى اي مكان يختارونه من الاراضي البيزنطينية. ويذكر البلاذرى ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان حين بعث عبد الله بن قيس بن مخلد على قيادة الاسطول العربي لمهاجمة الجزيرة قد اصاب اصنام ذهب وفضة مكللة بالجوهر — وهي على مايبدو الايقونات التي تجسد المسيح والحواريين والقديسيين — فبعث بها الى الخليفة معاوية فوجه بها معاوية الى البصرة لتحمل الى الهند فتباع هناك (٤١). الا ان العرب انقطعوا عن مهاجمتها منذ ان شغل ولاة العباسيين في افريقية بقمع الثورات الداخلية، فتجرأت سفن البيزنطينين على مهاجمة السواحل الافريقية. وظل البيزنطينيون يواصلون هذه الغارات البحرية في ايام ابراهيم بن الاغلب — امير الاغالبة في افريقيه — الى ان اتفق حاكم الجزيرة جريجورى مع الامير ابراهيم عام ١٩٨ هـ / ٨١٣ م على هدنة لمدة عشر سنوات، ولم تمض اربعة عشر سنة على ذلك حتى تجددت الاعمال الحربية المتبادلة بين الجانبين العربي والبيزنطي (٤٢).

وبالتحديد عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م استجدت فرصة طيبه للعرب في الهجوم على تلك القاعدة البيزنطينية وبالتالي فتحها وذلك بقيام يوفيميوس Euphemius وفي المصادر العربية فيمي — قائد الاسطول البيزنطي بالاستيلاء على السلطة في الجزيرة وطرد حاكمها البيزنطي قسطنطين. وانتهى الامر باعلان يوفيميوس نفسه امبراطورا. ولكن اتباعه خرجوا عليه وتفرقوا عنه وانضموا الى قسطنطين الذي كان حينذاك في مدينة بالرمو Polermo يستعد لمنازلة خصمه يوفيميوس. وبعد

---

(٤٠) يشير المؤرخون الى ان الاساطيل العربية بدأت هجماتها في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان حين ارسل اسطولاً بقيادة معاوية بن حديج الكندي، واخر بقيادة عبد الله بن قيس بن مخلد. وفي عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م عقد موسى بن نصير لعياش بن اخيل على اسطول المغرب، فهاجم صقلية حتى وصل الى مدينة سرقوصة وهي من مدن الجزيرة الهامة. وفي عام ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م غزا بشر بن صفوان بنفسه جزيرة صقلية، فأصاب بها سبياً كثيراً وفي ولاية حبيب بن ابي عبده نزلت شولطيء الجزيرة القوات العربية عام ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م. انظر — ابن عذارى — المصدر السابق — ص٣٦، ص٤٨، البلاذرى — المصدر السابق — ص٢٣٧.

(٤١) البلاذري — المصدر نفسه — ص٢٣٧.

(42) Marcais, La Berberie Musulmane, (Paris, 1946) p. 65

حرب جرت فيما بينهما، نجح قسطنطين من هزيمة خصمه. بعدها تم الاستيلاء على سرقوصة. فركب يوفيميوس ومن معه سفنهم وتوجهوا الى افريقيه، وارسل الى الامير زيادة الله بن الاغلب يستنجد به، ويعده بملك جزيرة صقلية (٤٣). ان استنجاد يوفيميوس يعتبر عاملاً محفزاً في اغراء زيادة الله على فتح الجزيرة. الا اننا في الوقت نفسه لاننسى ما للعوامل الاخرى من اهمية، كالجهاد في سبيل الله. والرجوع الى سياسة الهجوم التي ابتدأها الامويون في الرد على غارات البيزنطينين على السواحل الشمالية الافريقية.

يذكر المؤرخون ان زيادة الله احتفل بخروج الاسطول العربي احتفالاً عظيماً عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م وهو مكون من مائة مركب بقيادة القاضي اسد بن الفرات والى جانبها مراكب يوفيميوس. ونزلت الجيوش العربية ببلدة مازارا Mazara وزحفوا على الروم وهزموهم هزيمة نكراء، وفرّ حاكمها منافس يوفيميوس الى قلورية، فقتل بها، واستولى العرب على عدة حصون في الجزيرة، ثم بدأوا بفرض الحصار على مدينة سرقوصة Syracuse براً وبحراً. وما ان سمع الامبراطور ميخائيل بهذه الانباء حتى سارع باعداد اسطول كبير لمهاجمة الجزيرة ورد العرب عنها. على ان العرب اتخذوا من التدابير مايحقق بقاءهم على الجزيرة، خاصة بعد وصول الامدادات من اخوانهم عرب الاندلس يقودهم امير البحر اصبغ بن وكيل المعروف بفرغلوش. وفي نفس الوقت وصلت سفن كثيره من افريقية. بعدها نجح العرب في هزيمة البيزنطينيين المهاجمين واحباط محاولة الامبراطور ميخائيل في استرداد النفوذ البيزنطي على الجزيره. الا ان العرب فقدوا حليفهم يوفيميوس اذ قتل اثناء المعارك (٤٤).

والحقيقة ان فتح العرب لجزيرة صقلية استغرق اعواماً طويلة ولم تسقط تماماً الا بعد الاستيلاء على مدينة سرقوصة عام ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م ومدينة تاورمينا Taormina عام ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م اي بعد خمسة وسبعين عاماً. وظلت الجزيرة

---

(٤٣) أبن الأثير — المصدر نفسه — ج٥ — ص١٨٧، احسان عباس، العرب في صقلية (القاهرة — ١٩٥٩ م) — ص٣٢.

(٤٤) ابن الاثير — المصدر السابق — ج ٦ — ١٩، ابن خلدون — تاريخ — ج ٤ — (بيروت ١٩٥٨) — ص ٤٢٦، ص٤٢٧، Gibbon, Op. Cit, Vol. 2, pp. 821- 824, Oman, Op. Cit, p. 208

تحت حكم العرب حتى استولى عليها النورمانديون عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م (٤٥).

٤ــ فتح العرب لعمورية:

ما ان استقر الحكم في بغداد للخليفة المأمون (١٩٨ هـ / ٢١٨ هـ / ٨١٣ م / ٨٣٣ م) حتى قامت ثورة في جبال اذربيجان قام بها بابك الخرمي معلناً عدم طاعته للخلافة. وقد فشلت كل الجهود التي بذلها الخليفة المأمون في القضاء عليه. وهكذا استمرت ثورته حتى خلافة المعتصم (٢١٨ ــ ٢٢٨ هـ / ٨٣٣ ــ ٨٤٢ م). اخذت تلك الثوره تقلق الخلافة خاصة بعد ان اتصل بابك بالامبراطور ثيوفيلوس طالباً منه المساندة والدعم لثورته. وقد وجد الامبراطور البيزنطي فرصته على مايبدو للرد على مساندة الخليفة المأمون لثورة توماس (٤٦). فاعد جيوشه وانطلق شرقاً الى منطقة الثغور وبصحبته بعض رجالات من الخرمية حتى وصل الى زبطرة Zapetra عام ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م فأشعل فيها النار وسبى النساء والاطفال ثم تقدم الى سميساط وملطية ودخلهما ثم عاد الى عاصمته القسطنطينيه. ويذكر ان السبب الرئيسي الذي مكن الامبراطور ثيوفيلوس من تنفيذ احتلاله لزبطرة وتدميرها والتقدم في اراضي المسلمين الحدودية هو انشغال الخلافة بالقضاء على ثورة بابك الخرمي (٤٧).

---

(45) Norman Daniel, The Arabs and Mediaeval Europe, Longman- london (With out date) p. 146-154, ابن الاثير ــ المصدر السابق ــ ج ٦ ــ ص١٩، ج ٧ ــ ص ٥، ص ١١

(٤٦) وهو توماس الصقلي زميل الامبراطور ميخائيل العموري. الا انه ثار عليه، وعند فشل ثورته لجأ توماس الى الشام ثم منها اتجه نحو بلاط الخليفة هارون الرشيد وظل في بغداد حتى عصر المأمون، وكانت روابط الصداقه قد وطدت بين توماس وبين الخليفة المأمون، فامده الخليفة بجيش كبير استطاع من السيطره على اجزاء كبيره من بلاد آسيا الصغرى خاصة بعد ان انضم اليه عدد كبير من افراد الجيش البيزنطي. فأعلن نفسه امبراطوراً في مدينة انطاكية. ثم زحف بعد ذلك بجيشه باتجاه القسطنطينية وحاصرها براً وبحراً. الا انه فشل لاستبسال الامبراطور ميخائيل العموري وابنه ثيوفيلوس، ثم لحصانة القسطنطينية. واخيراً وقع توماس في ايدي القوات البيزنطينية وانتهت ثورته بعد المؤامره التي دبرت ضده عام ٨٢٣ م ، انظر Vasiliev Op. Cit, p. 274

(47) Gibbon, Op. Cit, Vol. 2 , p. 825